

## نظرة إلى الخلف.. خطوتان إلى الأمام

نظرة سريعة إلى ما يجري على الساحة الدولية تؤكد أن الغرب لا يريد أن نفلت من بين يديه، وواقع الحال أن الأمور ليست كما يدعي "صموئيل هنتنغتون" صراع الحضارات، بل صراع الثقافات بما فيها من أطياف الفكر بألوانها المختلفة، بين دنيوية وأخروية، بين يمين وشمال، بين مؤمنين وملاحدة.

ولكن إذا كان هؤلاء في فرنسا كما ادعت جريدة "فرانس سوار" المهمة بنشر قصص الفضائح والإباحية يمارسون شعائر حرية التعبير وإذا كانوا يرون من حقهم أن يسخروا من الرسل والأنبياء، فليس من حق أي أحد في الغرب أن يفرضوا نزعتهم الفكرية أو قيمهم الثقافية على الإسلام والمسلمين.

إن أصل البلاء الذي ابتليت به البشرية، كما يقول "رجاء جارودي" في كتابه: "كيف نصنع المستقبل" يعود إلى الثقافات الغربية التي قامت على أساس من الشعور بالتفوق العنصري وإقصاء الآخر، وقد رسم خطأ رابطاً بين أسطورة "الشعب المختار" في الثقافة اليهودية، وتفوق العرق اليوناني في الثقافة اليونانية، وحاليا الهيمنة الأمريكية.

ويرى "جارودي" أن المشروع العنصري النازي الذي يقوم على مبدأ تفوق الجنس الآري على باقي الأجناس، لم يتم التخلص منه، بل يجري استكمالاً بواسطة أمريكا بوسائل أخرى، وأن الخلاف بين الفاشية والديموقراطية الغربية هو خلاف في الشكل لا في المضمون، كما يرى أن تاريخ الديموقراطية الغربية ابتداء من ديموقراطية "أثينا" القاصرة على الأسياد هي ديموقراطية زائفة، تفسح الطريق أمام زوال

القيم المعنوية والأخلاقية لصالح قوانين السوق والقيم السلعية، والترويج لقصص وصور تسيء إلى المسلمين.

وإذا كان الغرب يتجاهل عظمة النبي ﷺ ووضعه بالنسبة للمسلمين فنحن نوضح اختصاص المولى عز وجل لسيدنا محمد وقدر منزلة المصطفى وارتباط اسمه باسم الله عز وجل في العبادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وفي أسس العبادة: "بُنى الإسلام على خمس. شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله... الخ" والمسلمون يؤمنون بالوحي وما نزل على صدر النبي: {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩] وقول - الله عز وجل - مخاطباً الرسول: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤] و: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا} [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦] ومن ينظر إلى الحياة بثرائها وتنوعها سيزداد إيماناً بأن الله قد قصرها على من أسلم من عباده وآمن، ولذلك فإن المسلمين في شتى مناحي حياتهم يؤثرون التعدد، ومن يتابع أهم القضايا التي طرحت أخيراً على بساط حوار الحضارات يرى أن المسلمين مهمومون بمسألة الاعتراف بواقع التعددية الثقافية وحماية الحق في التنوع الثقافي، وهو الحق الذي أقرته الاتفاقية الدولية لحماية وتعزيز أشكال التعبير الثقافي والفني والتي وافقت عليها منظمة اليونسكو.

إن التنوع الثقافي مطلب عادل تنادي به الشعوب، وهو قوة يحاول الاتحاد الأوروبي أن يستفيد منه لمواجهة التجنيس الثقافي لحركة الأمركة:

"إن ما يميز المملكة الإسلامية عن أوروبا النصرانية في القرون الوسطى، أن الأولى يسكنها عدد من معتنقي الأديان الأخرى غير

الإسلام، وليس كذلك الثانية، وأن الكنائس والبيع ظلت في المملكة الإسلامية، كأنها خارجة عن سلطان الحكومة، وكأنها لا تكون جزءاً من المملكة، معتمدة في ذلك على العهود وما اكتسبتهم من حقوق، وقضت الضرورة أن يعيش اليهود والنصارى بجانب المسلمين، فأعان ذلك على خلق جو من التسامح لا تعرفه أوروبا في القرون الوسطى..<sup>١</sup>

هذا التنوع والتعدد الزاهر تحقق على أيدي المسلمين وبرز ذلك جلياً في تنوع الثقافات، وهو حلم - الآن - تحاول الشعوب أن تعيشه وتنعم به، ولكن الإدارة الأمريكية ظلت تقف ضده، وهددت بقطع علاقاتها بهيئة اليونيسكو، وبالفعل استمرت القطيعة طوال عشرين عاماً، وأول ما فعلته إدارة بوش فور استئناف عضويتها هاجمت مشروع اليونيسكو للتنوع الثقافي ووصفته بالفكرة الرديئة.

في اليوم الأول الذي عادت فيه لعضوية الهيئة وقفت "لورا بوش" وفي حقيبتها مبلغ ٦٢٠ مليون دولار حصة الولايات المتحدة المقررة لميزانية اليونيسكو، وقد اشترطت - لدفعها - أن يتخلى اليونيسكو عن مشروعه الذي أراد به أن يتوج عقد حوار الثقافات عام (١٩٨٨ - ١٩٩٨).

ورغم موقف الإدارة الأمريكية فعلى المسلمين إبراز احتفاء الإسلام بالتنوع الثقافي والمساهمة في نشره، ويكفي كنقطة انطلاق مقولة الامام على بن أبي طالب: الناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الإنسانية.

١ - المرجع: نقلا من ضحى الإسلام. تأليف أحمد أمين، عن كتاب نهضة الإسلام. ترجمة "خدا بخش" من الألمانية إلى الإنجليزية ص ٣٤٠.

ولا بد من أجل نجاح حوار الثقافات من تفعيل كافة الجهود التي اتخذت في هذا الشأن، ومنها ما تضمنه الكتاب الأبيض الذي أصدرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "الاييسيسكو" وبيان برلين حول الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات في سنة ٢٠٠٠، وإعلان طهران حول الحوار بين الحضارات في سنة ١٩٩٩، والتنوع في اطار التكامل في ألمانيا سنة ٢٠٠٢، ونداء تونس حول الحوار بين الحضارات في نوفمبر سنة ٢٠٠١، والحوار بين الحضارات من أجل التعايش في (دمشق ٢٠٠٢)، والحوار بين الحضارات والثقافات.. الفهم والتفاهم في لينشتاين سنة ٢٠٠٢.

ولا بد لكي لا تعود حادثة الصور المسيئة من بلورة استراتيجية للتصدي لمعاداة الإسلام:

- ١- تعميق المعرفة المشتركة بين الشمال والجنوب.
- ٢- تفعيل الحوار الإسلامي - المسيحي.
- ٣- الانطلاق من التنوع الثقافي.
- ٤- التأسيس العلمي لظاهرة معاداة الإسلام.
- ٥- اثراء حركة نشر التراث الإسلامي بعد تنقيته.
- ٦- التنسيق بين المؤسسات الثقافية والدينية.

\* \* \*

## الرسالات السماوية كانت دينية

### الإسلام كان ديناً وشرعة

عرفت شعوب أمتنا العربية معنى رحلة الغرب إلى الشرق اكتشافاً.. غزواً.. استلاباً.. تدميراً.. تحديثاً، وتحت مرامي وأهداف صليبية وثقافية، وتبشيرية.. برز دور الغرب كمحرك لعجلة التطور والتحديث.

قبل أن يظهر في ثيابه الجديدة، كان التاريخ عرف رحلة الشرقي بالغرب كمنارة تهدي من كانت تسدل على حياتهم أستار الظلام، ومن كانوا مستغرقين في وثنية أساطير اليونان والرومان القديمة، حيث تتنامى - حسب طبيعتها - في تشوش عقلي يصل إلى حد الانفصام الروحي بين الفكر الإنساني والواقع العملي.

ومضى كل منهما في طريق، أخذ الشرق على عاتقه أعباء رحلة التواصل مع الآخرين إستجابة لرسالة الإسلام التي كانت تدعو إلى الانفتاح على الآخر، وأخذ الغرب يقطع الأشواط الاستعمارية لنزح موارد الشعوب والعمل على إمحاء هويتها.

من هذين الطريقين، طريق الشرق إلى الإنفتاح على طريق الخير والتعاون، وطريق الغرب إلى السيطرة والاستعمار، بدت ظاهرة التفاعل بين هذين الإتجاهين، تبدو وكأنها تعالج نقيضين لا رابط بينهما، ولا يمكن أن يصلا إلى نتيجة يرضى عنها الطرفان، الأمر الذي يعبر عنه "صموئيل هنتغتون" بمعنى صدام الحضارات.

وهو قول سبقة كلام جاء قريباً من نبرته على لسان شاعر الاستعمار الانجليزي "رديارد كبلنج": "الشرق شرق والغرب غرب ولن

يلتقيا! " ولكن من حقنا ألا نسمح بمثل هذا الكلام ونعتبره القاعدة المحورية في علاقة الشرق بالغرب، وإذا سوغه البعض لعقولنا فسنكون من أهل الجاهلية الأولى الذين كانوا لا يؤمنون إلا بالأصنام التي ورثوها عن جدودهم.

هذا مع الأخذ في الاعتبار بمجموعة الفوارق البيئية والسيكولوجية والثقافية لكل من الحضارتين العربية والغربية، غير أن المسافات المتابعدة بينهما لم تصب المفكرين المسلمين بنوع من اليأس والجمود في مثابرة على أمل الالتقاء عند خطوط يُرجى الاتفاق حولها.

غير أنهم في سعيهم نحو إيصال الجسور ببعضها اكتشفوا أن الغرب يغطط الحضارة العربية والإسلامية حقها ولا يكيل الأمور بموازينها الصحيحة، ثم يتعمى في صلف مدعيا أن حضارة المسلمين لم تكن حضارة ذاتية، بمعنى أنها لم تكن تملك جوهرًا تقدم به الجديد، وإنما عاشت على تعديل، وتشكيل، واقتباس أفكار القدماء، وهو بتجاهله آثارنا الحية في فكره وحضارته قد اختار موقع الدعوى المغرض الذي لا يعتد المنصفون بكلامه.

فمن الذي لا يذكر أن الرسائل قبل الإسلام كانت دينية بحتة؟.. أما الإسلام فكان دينًا وشريعة وضعت للعالمين معالم العدالة الاجتماعية، وسنت القوانين التي جعلتها في خدمة الإنسان، لا القوانين التي سخرت الإنسان في خدمة فرد، أو مذهب، أو حزب، أو عشيرة.

ولا يزال الإسلام بعد أكثر من أربعة عشر قرنًا يفرض وجوده بصلاحية شرعيته بأبعادها وأعماقها المختلفة على المؤتمرات العلمية والحلقات الدراسية، وفي ذلك يعلن نقيب المحامين في باريس بلد الحرية والديموقراطية: "إن الشريعة الإسلامية لها من العمق،

والأصالة، والدقة، وكثرة التفريع والصلاحية ما يقابل جميع الأحداث".

ومن الملاحظات التي وقف عندها "ديورانت" في "قصة الحضارة" صلاحية الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ لمجتمع دائم صلاحية تجمع بين الواقع و المثال.

ويلاحظ العلماء المحدثون منذ "سنوك هوجر ونير" ارتباط القانون بالدين في بلاد الإسلام، ويربط الأستاذ "أ. فيظي" بين النظام القضائي في الهند في العصور الوسطى وبين الإسلام عندما كانت الهند العليا تحت سلطان الملوك المسلمين.

ويعزو فضل ذلك إلى مآثر الدين الخفيف وما قدمه رسول الله للإنسانية جمعاء من خير يعلي قدرها وينقل الانسان من حظيرة الحياة البهيمية إلى مصاف الرقي والتحضر.

يقول "كارليل" في كتابه "الأبطال": "لولا أن محمدا فيه صدق ما ظفر بهذا التحكيم ويقول "أرنولد تونبي" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" عند الحديث عن انتشار الإسلام بين مسيحي إفريقيا: "ليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن دخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعا إلى اضطهاد أو ضغط".

ويؤكد "روبرت بريفانت" في كتابه "تكوين الإنسانية": "لم يكن العلم فقط باعث الحياة في أوربا، بل الآثار العديدة الأخرى من الحضارة الإسلامية أفاضت اشراقها الأول على حياة تلك القارة"، وألقى "لويس برنار" في كتابه "الإسلام يشرق على الغرب" الضوء على مساهمات الإسلام العديدة في تطور الحياة الغربية.

ومن المعروف عن الإسلام أنه دين الفكر حتى يسمى أهل الرأي

"أصحاب النظر" ومن الإجهادات التي تحسب لـ "أهل النظر" في الإسلام أنهم يصممون على إيجاد إجابة لسؤالهم: ألا توجد في حضارة الغرب قيمة إنسانية واحدة تحث مواطنيهم على عقد أواصر عرى الصداقة والأخوة الإنسانية عبر طريق لا تعرف الصدام؟.. ألم تعد توجد قيمة إنسانية تحث الغرب على التخلي عن أيولوجية المسيحيين الجدد المطعمة بزيف مبادئ الصهيونية ودعاة قرع طبول الحرب حتى يخرج الجميع إلى لغة الحوار المتكافئ، ثم من الحوار إلى التلاقي المتكامل، بل والممكن والمنشود؟

لقد ذقت شعوب الأمة العربية والإسلامية الأمرين على أيدي من يضطهدونها داخليا وخارجيا.. كنا قبيل تفكيك منظومة الكتلة السوفيتية نعول على دول أوربا في نصرة قضايا العرب العادلة ونعتبرها راعية للحرية، غير أن الأيام أسقطت عن وجهها أقنعة المراء والتدليس، فبان بتقاطيع الملامح الإستعمارية القديمة، وأصبح كل ما يعنيها في الحياة أن تتشبث بأذيال الولايات المتحدة الأمريكية آملة أن تحصل على دور يجعلها قريبة من مستعمراتها القديمة، لذلك فإنها لم تجد أي بأس في لعب دور ذيلي يرضي غرور أمريكا مع تبني وجهة النظر الصهيونية والوقوف إلى جانب القرارات الدولية التي تخدم مصالح إسرائيل.

هذه الصدمات التي تلقتها أمتنا العربية على أيدي أوربا، كانت واحدة منها كفيلة بأن تعيد إلى رؤوسنا العقل وتدفع الأنظمة العربية إلى عدم البحث عن كيانات خارجية تستند عليها في حل مشاكلها وأن تبدأ على الفور في بناء قوتها الذاتية.

لكن على ما يبدو أن مذاق الصفعات قد استمرأه البعض حتى وصل الأمر إلى إلصاق صفة "الخنازير" و "الشياطين" بالعرب، ثم تصاعدت نغمة

السباب حتى طعنت الدين الإسلامي وألحقت برسول الله ﷺ فاحش القول.

وعندما احتشدت المرجعيات الدينية والتفت حول الطاولات لمناقشة ما يسمى بحوار الأديان، سيطرت على بعض الدعاة والمفكرين نظرة تشاؤمية، إذ كانوا يرون أنه لا جدوى من وراء هذه الحوارات طالما أن هناك من يحاور بالمنطق والبراهين، ومن يجلس على الطرف الآخر من طاولة الحوار وهو يققع بأصوات الاستعلاء ولغة التفوق النووي، وبغطاء مشبع من تلك الأفكار التي روج لها "صموئيل هنتغتون" مؤلف كتاب "صدام الحضارات" وهو أستاذ علم الحكومات ومدير معهد أولين للدراسات الإستراتيجية في جامعة هارفارد، ومن أفكاره ما هو مؤسس على فريضيات مؤداها " أن الأديان يواجه بعضها البعض بطريقة لا بد أن تؤدي بالضرورة إلى كل أنواع الصراع بما في ذلك الصراعات العنيفة"

ولا ندري لماذا أسقط "هنتغتون" من حافظته وهو الأكاديمي المخضرم الحملات الصليبية قديما والحملات العسكرية حديثا وكلاهما لم يكن الهدف من ورائهما دينيا بل استعماريا، لأن دين المسيح برئ من كل الجرائم التي ارتكبت في حق شعوب الأمة العربية والإسلامية باسم نشر الحضارة الغربية، مع الإفراط في إظهار جانب التفوق التكنولوجي والعسكري كتعبير يسيطر على عقول القادة الغربيين بأنه يمكن عن طريق القوة صياغة عالم جديد، بعد أن راوحت أساليب الحوار الهادئ مكانها، وأصبحت منعدمة القيمة، بل وتعد من أروية الأزمنة الرثة.

أما العالم البريطاني "جوزيف نيدهام" عميد جامعة كمبردج فله رأي خاص في مسألة الأديان يكاد يقترب من الحقيقة حين يقول:

"إن الإلتزام بدين معين يجعل من الصعب على المؤمن أن يتبين

معاني الحضارات، والديانات الأخرى بشكل أصيل".

ولعل من ينشد الحقيقة، أو معاني الحضارات سيجدها في الدين الإسلامي، إذ إن الإسلام - وحده - آمن وصدق بمعاني وجوهر الديانات السماوية، والإيمان بمانزل على موسى وعيسى على الرغم من الصراع الحياتي وما شجر بين الديانتين من اختلاف، جعل بعضها يتنافى مع البعض، فاليهود ينفون المسيحية، والمسيحون الأوائل كانوا ينفون اليهودية، ولم يعد أمام العالم سوى الحقيقة الفريدة الكاملة التي عبر عنها الفيلسوف الألماني "جوته" بقوله:

"إذا كان الإسلام هو التسليم لله فإننا نحيا ونموت في الإسلام"

ذلك الأمر يدفعنا إلى إعادة النظر في أفكار "هنتغتون" عن الأديان، - والتي حسب زعمه - تؤدي إلى الصراع، فنقول إن الحروب التي تشن على الدول العربية والإسلامية بدءا بالاستعمار الأمريكي لأفغانستان والعراق وتصدي "حزب الله" لجيش العدو الصهيوني حين اجتاحت مناطق الجنوب اللبنانية ودمر الآلاف من البيوت والجسور ومحطات المياه والكهرباء.. الخ، هل يعد ذلك تعبيراً عن رؤى دينية في يهودية إله الحرب "يهوه" والمسيحية الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية؟

لكوندا ليزا رايس رأي في ما جرى على الأراضي اللبنانية، ومن المعروف أنها لا تعبر عن رأي شخصي بل عن السياسة الخارجية الأمريكية، ففي مستهل شهر أغسطس ٢٠٠٦ خطبت في حشد من الصحفيين وقوات الجيش الصهيوني تحتج لبنان:

"الآن يولد شرق جديد فبعد سقوط بغداد وإقامة الديمقراطية على أرضها، سوف تنهض دول أخرى ومنها لبنان"

معنى ذلك أن العالم العربي في الخطط العولمية لكي "ينهض" لا بد أن "يسقط" أولاً كما سقطت أفغانستان وبغداد من أجل ترسيخ أقدام الولايات المتحدة الأمريكية وتيسير استثمار وجودها المتفوق حول العالم دفاعاً عن مصلحتها التي تعتبرها الاستجابة البناء لمصالح "الجماعة العالمية".

من هذه الأرضية تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من الضغط على الأسرة الدولية لاستصدار قرارات تمكنها من تحقيق مشاريعها الإستعمارية تحت غطاء من الشرعية الدولية، وبذلك تصبح هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن واليونسكو واليونسيف وصندوق البنك الدولي من المنظمات العالمية التي تعمل في خدمة أمريكا وليس من أجل مصلحة الشعوب:

"فمن خلال صندوق البنك الدولي، والمؤسسات الاقتصادية العالمية الأخرى يعمق الغرب مصالحه الاقتصادية ويفرض سياسات اقتصادية على الأمم الأخرى يعتقد أنها ملائمة لها.

ولكن في أي استفتاء للشعوب غير الغربية حول صندوق النقد الدولي سيحصل على نتيجة متدنية جداً من الأغلبية الساحقة الذين يتفقون مع جورج أربانوف لمسؤولي صندوق النقد الدولي بأنهم البلاشفة الجدد الذين يستغلون أموال شعبنا ويفرضون قواعد غريبة وغير ديمقراطية للعمل السياسي والإقتصادي وإجهاض الحرية الاقتصادية"<sup>١</sup>.

ومن الأمور المثيرة للانتباه أن الغرب الذي سرق علماء الأمة العربية والإسلامية وأغراهم بمختبراته العلمية ودولاراته ومع احتفاظه بتفوقه العسكري يسعى دائماً للحيلولة دون انتشار السلاح النووي والبيولوجي

١ - المرجع: د. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٧ ص ١٢٥).

والكيميائي حتى لا تصل - بالذات - إلى أيدي العرب والمسلمين.. يكفي ما لدى كوريا الشمالية من أسلحة الدمار الشامل وهو ما يؤرق الولايات المتحدة الأمريكية ويجعلها نهبا للهواجس والقلق.

في عام ١٩٨٨ أعلن الرئيس رفسنجاني بأننا "الإيرانيين يجب أن نتسلح بالأسلحة الهجومية والدفاعية، باستخدام الأسلحة الكيميائية والبكتريولوجية" وصرح نائبه: "حيث أن إسرائيل مستمرة في إمتلاك الأسلحة النووية، نحن المسلمون يجب أن نتعاون في إنتاج قنبلة نووية، وبغض النظر عن محاولات الأمم المتحدة منع انتشار الأسلحة النووية".

"ومن المؤكد أن إيران وباكستان طورتا تعاوناً عالياً جداً في مجال الطاقة النووية وذلك بتدريب الباكستان لعلماء إيرانيين، وموافقة الباكستان وإيران والصين في نوفمبر ١٩٩٢ للعمل معاً على المشروعات النووية"<sup>١</sup>.

خطتان لضربة وقائية وضعتا على مكتب الرئيس جورج بوش، ضربة مباغطة تسدد إلى المفاعل النووي الإيراني، والضربة الثانية توجه ضد كوريا الشمالية.. في أوروبا ينبري اليمين المتطرف مطالباً بوش أن يبديد إيران ويضربها كما فعلت أمريكا من قبل مع هيروشيما وناجازاكي.

المحللون السياسيون والإقتصاديون في أوروبا يؤكدون أن حاجة بلادهم للحصول على الأموال من خلال بيع الأسلحة والتكنولوجيا تيسر للمجتمعات غير الغربية شراء الخبرة والتقنيات، وقد قلص ذلك نسبياً من جهود الولايات المتحدة بفرض شروط التقيد ببرنامج عدم نشر أسلحة الدمار الشامل، ولكن على الرغم من كل شيء فإنها تقف للجمهورية الإسلامية الإيرانية بالذات وتصر على إيقاف تخصيص برنامجها النووي.

١ - المرجع: فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة، القاهرة، مكتبة مدبولي ١٩٩٧ ص ١٣٤.

أمريكا تخاف من حلول الساعة الرهيبة التي يجتمع فيها الإرهاب مع الأسلحة النووية، وهى تضع إيران في مربع الشر، وتدرس في ذات الوقت أوضاعها الداخلية، فلدى إيران الموقع المركزي والجغرافي الممتاز والتقاليد التاريخية والمصادر النفطية، وفيها نسبة كبيرة من السنة وشيعة تدير شؤون الدولة.

وعلى مستوى العلاقات الخارجية نجحت في الحصول على موافقة الصين حين سمحت لها بانتاج الصواريخ الصينية (أرض/أرض) مما سبب المزيد من القلق لكل من اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، ثم ارتفع نبض المخاوف حين نقلت كوريا الشمالية صواريخ سكود لإيران، وساعدتها في تطوير انتاج المواد العسكرية الخاصة بذلك.

واعتقدت امريكا أنها ستحرز نجاحا فائقا إبان عقد مؤتمر عدم نشر الأسلحة الذرية في ابريل ١٩٩٥، وكانت القضية الأساسية هى: هل يجب تجديد معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية لفترة غير محدودة أو لمدة خمس وعشرين سنة؟

الولايات المتحدة بذلت جهودا جبارة لتكون الفترة غير محددة.. عدد من الدول المشاركة رفضت تبني وجهة النظر الأمريكية إلا إذا تلازم ذلك مع تقليص القدرات النووية للبلدان الخمسة النووية.

وفي ذلك المؤتمر الذي كانت مصر عضوا فيه رفضت الأخذ بوجهة النظر الأمريكية إلا إذا وقعت اسرائيل على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية وقبلت أعمال لجنة التفتيش.

## إيران نقطة صغيرة في الميزان النووي

يحلم الإيرانيون بتخصيب اليورانيوم كخطوة مهمة على طريق صناعة قنبلة ذرية.. يقول الخبراء في مجال الطاقة: يمكن أن تصنع إيران قنبلة ذرية بعد عشر سنوات بشرط عدم تدخل أمريكا.. المسافة بينها وبين اللحاق بإسرائيل تتسع، ولا مجال هنا للمقارنة، ومع ذلك تسيطر الهواجس على إسرائيل.. تخاف من الجدية التي تتناول بها إيران موضوع الحصول على قنبلة نووية.

إنها في أول الطريق، ولكنها تخيف الكيان الصهيوني.. في سبتمبر عام ٢٠٠٢ بلغ عدد المرافق النووية الإيرانية المعلن عنها والخاضعة لتفتيش الوكالة الدولية للطاقة عشرة مرافق تنتشر على امتداد ثلاث مدن: المفاعل البحثي في طهران، ومرفق انتاج النظائر المشعة، في مدينة بوشهر توجد محطة القوي النووية التي بناها الألمان في عهد الشاه وانتهى الروس من استكمال منشآتها وتجهيزها في عهد آيات الله الخميني، وتوجد في أصفهان ٧ مؤسسات نووية، تتمثل في أربعة مفاعلات تجريبية، مفاعل نيتروني، ومفاعل يعمل بالماء الخفيف، ومفاعل يعمل بالماء الثقيل، اما الرابع الذي يعمل بالجرافيت فقد خرج من الخدمة.

وهناك مختبرات "جابر بن حيان" المتعددة الأغراض، ومصنع "قلاي" لتصنيع أجهزة الطرد المركزي لتخصيب اليورانيوم ومصانع أخرى لانتاج الماء الثقيل.

وتحاول الولايات المتحدة مع إيران، بالترهيب تارة والإغراء تارة أخرى أن تثنيها عن استكمال تجاربها، وإزاء اصرار إيران على تطوير برنامجها النووي رفعت أمريكا الأمر إلى وكالة الطاقة الذرية، وحولت خصوصية التجارب من موضوع الوصول للتكنولوجيا العصرية إلى موضوع سياسي ليس مكانه وكالة الطاقة الذرية.

ولكن بكل أسف تحول دور مفتشي وكالة الطاقة الذرية من دور حيادي يقتصر على مراقبة المفاعل واخذ عينات منه وتحليلها وتقديم تقرير بذلك إلى مجلس المحافظين، ثم القيام بدور المحقق لا المحاور الذي يسأل عن أسماء الذين وقعوا صفقات شراء المواد والمعدات الخاصة بعمليات التخصيب والطرء، وتواريخ سفرهم لعقد هذه الصفقات وأرقام جوازاتهم والمبالغ التي كانت تصرف لهم أثناء الذهاب والإياب، وأسماء الذين تعاملوا معهم في الخارج وعناوينهم.

لقد أعاد مفتشو الطاقة الذرية إلى أذهاننا ملامح ذلك الدور الذي لعبه مفتشو البحث عن أدوات الدمار الشامل في العراق قبل وصول قوات المارينز واحتلالها، كل ذلك يجري لإيران؛ لأنها أخطأت وفكرت أن تكون دولة قوية.

المحللون العسكريون في البنتاجون قدموا طرحا لأفكارهم لاساسة الادارة الأمريكية.. الإدارة الأمريكية أمست على قناعة تامة بأن تحول إيران نوويا بمثابة ناقوس ينذر بالقضاء على اسرائيل وتصفية النفوذ الأمريكي في منطقة الشرقين الأدنى والأقصى.

في الوقت الذي بدأت فيه إيران تقف على عتبات الطريق النووي، والحكومات الغربية تتشبت بعدم نذب المعايير المزدوجة، ولا تمنع في منح اسرائيل - التي ليست عضوا في معاهدة الحظر وتشكل خطرا على السلم والأمن الدوليين - حق إنتاج وتطوير أسلحة نووية وكيميائية سواء بالصمت أو التواطؤ.

بالنسبة للسلاح النووي الإسرائيلي، فقد أعلنت المخابرات المركزية عام ١٩٧٤ عن تمكن اسرائيل من صنع سلاح نووي، وأنها تتفق بسخاء على بناء منظومة صواريخ متوسطة المدى وقادرة على حمل رؤوس نووية، في إطار برنامج كان يسانده شاه إيران محمد رضا بهلوي.

وقبل نهاية القرن العشرين قدر البوفيسور "فرانك بارنابي" المدير السابق للمعهد الدولي للسلام في استكهولم أن اسرائيل تملك ما بين مائة ومائتي قنبلة نووية، ولديها قدرة حمل النووي إلى الأهداف التي تريدها بواسطة الطائرات

والصواريخ والغواصات (من بينها ست غواصات أعطتها ألمانيا هدية لإسرائيل على دفعتين.. الدفعة الأخيرة تسلمتها في نهاية سنة ٢٠٠٦)

وخلال عام ١٩٥٧ أرادت حكومة "جي موليه" أن تنتقم من حكومة الجمهورية العربية المتحدة التي كانت - آنذاك - تساند ثوار الجزائر أيام حرب التحرير، فسارعت بمساندة إسرائيل في بناء مفاعل ديمونة، واشتمل الاتفاق المبرم بينهما عام ١٩٥٧ على إنشاء مركز للبحوث وعمليات البلوتونيوم على عمق ست طوابق تحت الأرض.

البون شاسع والمسافات طويلة بين إسرائيل وإيران.. في عام ١٩٩٥ صرح "وران" وزير الخارجية الأمريكية قائلا: "إيران الآن منهكة في جهود تطوير الأسلحة النووية" ولكن إسرائيل لديها بالفعل ولم توقع على اتفاقية عدم انتشار الأسلحة النووية وأمريكا تساندها في موقفها، ولم تعتبرها دولة مارقة، مع أنها إذا إشتمت أي رائحة لدولة عندها نية لتخصيب مادة اليورانيوم أو أي نوع من هذه المشتقات لا تكف عن شحن الاسطوانات بما تسميه خطر الإرهاب، ونشرها على طول القنوات الفضائية وعرضها لتحذر وتخيف رؤساء الدول من الخطر الأسود الذي بات يتهدد الجميع، وسرعان ما يصدر عن هيئة الأمم المتحدة قرار - تقف وراءه وتتبناه الولايات المتحدة الأمريكية - يتيح لها انشاء قوات التحالف الدولي، ثم يفضي الأمر إلى تنفيذ السيناريو الخاص بخراقة أسلحة الدمار الشامل العراقية والذي أسفر عن احتلالها وتدميرها دون الحصول على ذرة واحدة من عناصر مكونات أسلحة الدمار.

ومما يزيد الطين بلة أن أسلوب الخداع لم يتوقف على لسان بوش، وبعبارات الإبتزاز راح يدغدغ عواطف مواطنيه محاولا ان يربط بينها وبين الحرب التي اشعل أتونها في مدن بغداد، ففي ذكرى حاث سقوط البرجيين خطب في حشد من أهالي ضحايا الحادث يوم ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦ قائلا:

"إن مستقبل الأمن في بلادهم يتعلق الآن بالحرب الدائرة في العراق"

إنه يدمر حضارة الإسلام بحجة تحقيق الأمن والرخاء لبلاده.. الإسلام دائما هو المستهدف في مختلف المعارك التي تشعل أوارها أمريكا، ولكن الحق دائما يرجح كفة الإسلام، ومع تنوع أشكال الحملات التي تشن ضده، فقد أثبت أنه خالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذلك أسباب منها أنه لو كان جاء للتعبير عن طموحات العرب فقط لجعل منهم السادة ولجعل من خلق الله عبيدا لهم ولكانت له نظرية كنظرية "التلمود" و"بروتوكولات حكماء صهيون" التي تعتبر اليهود شعب الله المختار خاصة وانهم - العرب واليهود - ساميون، وجدهم إبراهيم عليه السلام.

ولا يظن أحد من رجال اليوم وشبابه أن الهجوم على الإسلام والمسلمين كانا شأنًا أمريكيًا محضًا، فعندما نستحضر التاريخ سيزداد احترام المرء لمقدسات الإسلام خاصة عندما نرى المغول - قبل أن يقدسوا الإسلام - غلاظ القلوب مثل عرب الجاهلية.. ينامون ورؤوسهم على أعناق أحصنتهم.. لا يزرعون أرضًا، وانما هم في تجوال دائم:

"وهؤلاء المغول لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض.. وأما دياناتهم فأنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئا فإنهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها، ولا يعرفون نكاحا، بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه"¹.

كانت هذه أخلاقيات المغول، وهي تكاد تكون صورة مما يلقاه مسلمي اليوم على أيدي الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن بعد أن منّ الله عليهم بهداية الإسلام تحولوا من همج إلى متحضرين، وتحولت بلادهم في الهند إلى حياة التمدن.

"ولم تكن العلوم دون الفنون حظوة في دولتهم، فأنشأوا المدارس، وأقاموا

المراسد، ولم يبد ملوك المغول حماة للآداب والعلوم وحدها، بل ترى الكثيرين منهم قد حذقوها أيضا<sup>١</sup>.

ونحن إذا حاولنا أن نستعرض صوراً من النكبات التي جرت في حياة المسلمين على مر الدهور والزمان فسنرى الإسلام كيف كان هدفاً للطعن والمؤمرات من جانب الصليبيين في الأندلس بعد أن ظل يؤدي رسالته النورانية نحو ثمانية قرون، ومن المعروف أن الحملة بدأت ضده بدعوى الكاردينال "أكسيمس" سنة ١٥١١م بإحراق الكتب العربية والمصاحف المحفوظة في ميادين ومكتبات غرناطة، ثم تولت محاكم التفتيش الدينية إبادة كل أثر للمسلمين.

ورغم استعمال أدوات القهر والإبادة وطعنات التتار والصليبيين فقد قامت الدولة العثمانية بفتوحاتها في البلقان حتى وصلت الجيوش الإسلامية إلى أسوار فيينا، ثم بدأت خفافيش الظلام المكونة من علمانيون وملاحدة وماسون يخططون للقضاء على دولة الخلافة العثمانية وينسجون حولها المؤمرات، وأهمها:

"مؤامرة طرابزون" التي أحبط كل مخططاتها "محمد الفاتح" ولما رأى البابا أن حيله لم تفلح في قتال الأتراك أراد أن يدخل محمد الفاتح في النصرانية، فكتب له بذلك سنة ١٤٦٢م ولما لم يفلح استعان بجمهورية البندقية على قتال الأتراك، وإذاع نداء إلى الحروب المقدسة في ٢٢ من أكتوبر سنة ١٤٦٣م، وباع في سبيل ذلك صكوك الغفران لإغراء المسيحيين على الحرب، غير أنه توفي قبل أن ينفذ خطته<sup>٢</sup>.

\* \* \*

١ - المرجع: جوستاف لوبون (حضارة الهند) ترجمة عادل زعتر.

٢ - المرجع: صابر عبد الرحمن طعيمة (الإسلام والثورة الاجتماعية) مكتبة القاهرة الحديثة ط أولى عام ١٩٧٠ ص ٤٧٨.

## المخاضات الأجنبية الكاذبة

في تلك الأوقات كانت روسيا مهتمة بالوصول إلى المياه الدافئة، وبسبب عوامل دينية واقتصادية بلغ اهتمام "بطرس الأكبر ١٦٢٧ - ١٧٢٥م" بأن يصل الجيش الروسي إلى القسطنطينية والهند بقدر الإمكان فمن يملك القسطنطينية فقد ملك العالم، بناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع العثمانيين"

وفي الفقرة الحادية عشر يقول:

"نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج العثمانيين من أوروبا"

أوروبا كانت دائمة سباقاً في الإعداد وتجهيز الحملات ضد ما يمت للإسلام بصلة، ومن كانوا ينتصرون للصليبيين في غرناطة واشبيلية، تظهر - بعد ذلك - فيالق من جنسهم في روسيا.

وما يكاد العالم الإسلامي يهنأ بفترة من الدعة والسلام حتى كانت تهب عليه السموم ففي القرن التاسع عشر، استولى الروس على بلاد التركستان الإسلامية، وعلى القوقاز، وشمال إيران، واستعمرت بريطانيا الهند، وتنازلت إيران لروسيا عن جورجيا وأرمينيا سنة ١٨٢٨م.

وقبيل تلك السنوات اتجهت بوصلة الاستعمار الغربي ناحية العالم العربي، وجهزت فرنسا حملتها العسكرية على مصر سنة ١٧٩٨م، وكان التدخل باسم المطالبة بالديون التي فتح بابها الخديوي "محمد سعيد" والتي انتهت بامتياز قناة السويس، ثم باحتلال مصر سنة ١٨٨٢م، كما خضعت الجزائر لفرنسا عام ١٨٣٠م، وتونس ١٨٨٢، وكان الإنجليز دعموا نفوذهم في السودان الذي أخلاه المصريون

(١٨٨٤ - ١٨٨٥) واحتلت انجلترا عدن وما سمي بالمحميات سنة ١٨٣٩، وكذلك احتلت إيطاليا ليبيا سنة ١٩١١م.

وبعد الحرب العالمية الأولى تقرر في مؤتمر "سان ريمو" في مايو سنة ١٩٢٠م الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين والفرنسي على سوريا التي انقسمت إلى سوريا ولبنان، وتقرر إقامة إمارة في شرق الأردن تكون خاضعة للانتداب البريطاني، وبذلك أحكم الاستعمار سيطرته على البلاد العربية.

وبدأت أساليب الاحتلال تمارس أدوارها في ضرب وحدة البلاد، واستقطاب عدد من شرائح المجتمع استعملتهم ليكونوا سواعد في خدمة الاستعمار والتمكين له من طعن وحدة المسلمين والترويج لنشر اللهجات المحلية بهدف القضاء على اللغة العربية ومحاصرة تعاليم الدين الإسلامي في دائرة ضيقة تبعث على التحجر حتى يُنظر إليه بشك واستهجان.

ولكي تكتمل خيوط هذا المخطط جاءت شروط الصلح مع تركيا في مؤتمر "لوران" سنة ١٩٢٣م المعروفة بشروط "كيرزون" الأربعة دليلاً على نوايا الاستعمار السيئة ضد الإسلام والمسلمين، وهي:

- ١- قطع كل صلة بالإسلام.
- ٢- إلغاء الخلافة الإسلامية.
- ٣- اخراج أنصار الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد.
- ٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام.

إن محاولة تفريغ حضارة عالمية من مضامينها التي يؤسس

الإسلام عليها أركانها تبلورت فكرتها وأخذت شكلها العملي حين ساعدت فكرة "مسئولية الرجل الأبيض" في تبرير إمحاء الآخر ونفيه بعيدا عن بلاده، والغاء دستور البلاد المؤسس على مبادئ الإسلام.

وعلى الرغم من إضطهاد الإسلام والمسلمين في دول الغرب، فإن الانبعاث الإسلامي يشق طريقه بين صفوف الشباب منذ سبعينات القرن الماضي، إنهم يعودون بطاقة علمية تؤكد حاجة المجتمع إلى بناء المؤسسات الإسلامية المدعومة بآليات التحديث، وكان لذلك أثره القوي على الأنظمة العربية والإسلامية:

"ففي السبعينات والثمانينيات اندفع القادة السياسيون في تحديد هوية نظمهم و هوياتهم الشخصية بالإسلام، الملك حسين عاهل الأردن، وقد أدرك أن الحكومات العلمانية ليس لها سوى مستقبل طفيف في العالم العربي، تحدث عن الحاجة لخلق "ديموقراطية اسلامية" و"تحديث الإسلام" الملك الحسن عاهل المغرب أكد تحدّر سلالته من الرسول ودوره "كأمير للمؤمنين". وسلطان بروني الذي لم يعرف في السابق تمسكه بالدين، أصبح "بشكل متزايد مكرسا" للدين الإسلامي، وحدد نظامه بأنه "ملكية مالية اسلامية"، بن علي في تونس بدأ بشكل معتاد يدخل اسم الله في خطبه و"لف نفسه في العبادة الإسلامية ليكبح الإقبال المتزايد على الجماعات الإسلامية"<sup>١</sup>.

أما تركيا فقد تنامت المشاعر الإسلامية بين الشباب ولكن القوى البيروقراطية وجماعة العسكر ذات التوجهات العلمانية قامت بشطب أسماء من طلاب الأكاديمية العسكرية بسبب الشك في أن لهم ميولا

١ - المرجع: نقلا من صموئيل هتنتغتون "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي" ترجمة د. مالك عبيد أبو شهيوه ود. محمود محمد خلف. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط أولى ١٩٩٩ ص ٢٢٤ و ٢٢٥.

إسلامية، وفي الثمانينيات دعم القادة الأتراك صلتهم العسكرية بالكيان الصهيوني، ولكن حركة "الطريقة" الإسلامية التي كان كمال أتاتورك جمد نشاطها، وحزب "الرفاه" الأصولي لا يزالان يلعبان دورا بارزا بين صفوف الشباب والمجتمع المدني.

ويلاحظ أنه منذ ظهور العسكريين المحليين في منتصف القرن الماضي والحركات الإسلامية تتسع دوائرها وعيون الرصد بين الجماهير تقمع خطواتها في نفس الوقت، وكأن هؤلاء يتفقون ضمنا مع وجهة النظر الأمريكية الداعية إلى محاربة ما تطلق عليه اسم الإرهاب.

ومن الأمور المثيرة للاحتقان والإنفجار معا أن الشرق عندما بدأ يفوق من سبائه ويستعد عافيته وتحرر بعض أقطاره من التبعية، وبدأ ينشد النمو الاجتماعي الذي يعتمد في الأساس على ثلاثة مصادر أساسية تكمن في تراكم رأس المال البشري والمادي وكفاءة تخصيص الموارد بين قطاعات الإقتصاد القومي وتحسين الانتاجية، فوجئ بقوي الغرب تتكالب عليه، وقد تملكه الذعر عندما رأى الشرق يسعى لتصويب خطواته، وتظهر في أبنائه أجيال من العلماء والمتفوقين: ما الذي سيكون عليه وجه العالم عندما يمتلك الشرق قوته في المجال الثقافي والفنون؟:

"وماذا يحدث عندما يصبح الشرق ندا للغرب في مجال العلوم.. أي عندما يمتلك رجال من خارج الغرب تكونوا في ثقافات وديانات بعيدة عن مفهوم الغرب لمسئولية الانسان أمام التاريخ في نهاية الأمر؟.. ماذا يحدث عندما يمتلك مثل هؤلاء الرجال من تراث مغاير لعلمنا وتكنولوجيايتنا (أي للغرب).. ماذا يحدث في اليوم الذي تمتلك فيه الصين القنبلة أو مصر<sup>١</sup>."

١ - المرجع: د. أنور عبد الملك (نيدهام: رحلة الغرب إلى الشرق) مقال، جريدة الأهرام ٢٩ يونيو ١٩٩٩.

يشهد الحال بأن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تغفر وتخفف البصر إذا امتلكت الصين القنبلة الذرية، انما تحصل عليها دولة مسلمة مثل مصر وإيران فإن الغرب يعتبر أن مسمارا دُق في نعشه.

ولكن لماذا يسود هذا التشاؤم الغرب؟.. ربما لأن تراثه الأسود عندما يعيد النظر فيه يرى فصوله مفعمة بجرائم الاستعمار من سحل وقتل ونهب ثروات الشرق.. من ثم لا يرى المحللون والاستراتيجيون في حكومة بوش سوى تصعيد الحملات العسكرية ضد إيران، وقد أجاب الرئيس الإيراني نجادي بقوله: "أن جورج بوش لن يستطيع أن يجبرنا على وقف برنامج الطاقة النووية"، ويرد على ذلك راسمو خطط الحرب في "البنتاجون" بسؤال آخر: هل يقتصر الأمر على مجرد ضربة عسكرية عن بعد لمنشآت إيران النووية في أكثر من أربعين موقعا؟.

وتعقب كونداليزا ريس على الدمار الذي لحقه إسرائيل بلبنان قائلة: "إنه مخاض مؤلم لشرق أوسط جديد"

ان تجاهلها للمقاومة لا يخفي عن العالم النجاحات التي حققها حزب الله في بسالة لا نظير لها:

"إن انتصار المقاومة فرض معادلة جديد لتوازن القوى تلعب فيها الشعوب أدوارا محددة قادرة على قلب الموازين، وتحقيق الانتصارات"<sup>١</sup>.

ولكن بوش يصصر على الكذب حين يدعي أن جيشه انتصر في العراق وأن جيش إسرائيل انتصر في لبنان، وادعى أنه "تم الآن ولادة الديمقراطيات الفتية في بغداد وببيروت".

١ - المرجع: د. محمد السعيد ادريس (انتصار المقاومة وتوازن القوى الإقليمي) جريدة الأهرام ٢٣ أغسطس ٢٠٠٦.

بينما النتيجة الخالصة تؤكد فشل المشروع الأمريكي في العراق.. الديموقراطية المزعومة اغتيلت بالدليل أنه لا صوت الآن في بغداد يعلو على أصوات مذابح الحرب الطائفية.

وفي ضوء اختلاف الغرب في تحديد مفهوم "الشرق" فإنه لم يحدث خلاف حول اعتبار الشرق بسكانه هدفا للتجزئة في مخاض قاتل بملامح "المقاومة" الجديدة والمتهمة من قبل الميديا الأمريكية والصهيونية بالذبول التابعة لإيران.

هذه الاتهامات تستهدف القطيعة بين "السنة" و"الشيعة"، ولكن المناضلين على الأرض يدركون أهمية هذه العلاقات المشروعة في سياق حركة النضال من أجل عودة الحقوق العربية، فقضية العرب والمسلمين تحتاج لحلفاء من شتى الطوائف حتى لو كانت لهم مرجعياتهم الأيديولوجية.

المهم وحدة المسلمين وعودة فلسطين. وكفانا ما يجري للسنة والشيعة من هلاك ترسم خطوطه العريضة الولايات المتحدة، ولعل الجميع يدركون فحوى تصريحها خلال الأسبوع الأخير من تصدي المقاومة اللبنانية للجيش الصهيوني فقد رأت في تقويمها للمعارك أن الخسائر الاسرائيلية في جنوب لبنان سيوفر دعما معنوياً وخبرة قتالية هائلة "يمكن أن تضر بمصالح الأمريكيين أنفسهم في أية معارك محتملة".

القصد إذن عدواني والنية مبيتة على إشعال الحرائق في شتى أنحاء منطقة الشرق الأوسط.. فهل أخذت أمريكا في حساباتها ما يمكن أن تحدثه ردود الأفعال المحتملة من جانب الجمهورية الإسلامية في طهران؟

إن لدى إيران صوراخ باليستية تستطيع أن تصل إلى ربيبة أمريكا المدللة في تل أبيب، ويمكن أن تصل أيضا إلى دول في جنوب أوروبا وتنتصر على ١٣٠ ألف جندي أمريكي متواجدين على أرض العراق.

بالنسبة لحزب الله، فقد رصدت أمريكا حصيلة معاركه مع إسرائيل، وأكدت أنه أطلق ٣٩٩٧ صاروخا على شمال إسرائيل، وأوقعت ٣٨ قتيلا مدنيا من بينهم ١٨ قتيلا من فلسطيني عام ١٩٤٨، كما سقط في شمال إسرائيل نحو ٥٠٠٠ جريح، وأثناء اندلاع القتال أعلن المستوطنون عن رغبتهم في أن تقصف قواتهم المفاعل النووي الإيراني، وأحمد نجادى رئيس إيران يرى أن من حق بلاده أن تملك الذرة وأن أسلوب العصا والتهديد بفرض عقوبات عليها لن يثنى عنها عن موقفها، والولايات المتحدة بدافع الأنانية والرغبة في السيطرة وعدم الرغبة في أن توسع دولة مسلمة أفاقها وتحذّث بالتكنولوجيا أوضاعها الاجتماعية حتى تلحق بركب الحضارة.

هناك قصة تصلح لأن نسوقها في هذا الصدد، وقد وردت في "فهرست العلوم" وهي تتصل بعالم الطبيعة والكيمياء "محمد بن زكريا الرازي ٨٥٠ - ٩٢٥" وفيها أن عالما صينيا جاء إلى بغداد واتصل بالرازي ومكث في داره سنة يتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وقد دهش الرازي حين تبين أن العالم الصيني استعمل الاختزال، وهى طريقة لم تكن منتشرة آنذاك، وترجم عن طريقها أعمال الطبيب "جالين" في ١٦ مجلدا.

إن القصة تكشف بجلاء أوضاع المسلمين عندما بلغوا أوج الحضارة الإنسانية إذ لم يخفوا ما في عقولهم عن العالمين، ولم يبخلوا بعلمهم، ولم يستعملوها إلا كقوة في انتشار روح التآخي والتلاحق الفكري، الأمر الذي يكشف مغالطات "هنتنغتون" في أن حضارة الغرب - وحدها - هى المؤثرة في كافة الحضارات، وعلى الرغم من ذلك فإن المؤشرات تؤكد أن المآذن سيظل اسم الله يرتفع من فوقها، وإن مستقبل الشعوب رهن بتقدم الإسلام.